(أفأصفياكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما [40]) A البنين فأعطاكم ا أفضلكم : والتقدير . عليه المفرع تقديره على يدل مقدر على تفريع E وجعل لنفسه البنات . ومناسبته لما قبله أن نسبة البنات إلى ا ادعاء آلهة تنتسب إلى ا بالبنوة . إذ عبد فريق من العرب الملائكة كما عبدوا الأصنام واعتلوا لعبادتهم بان الملائكة بنات ا تعالى كما حكى عنهم في قوله (وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمان إناثا) إلى قوله (وقالوا لو شاء الرحمان ما عبدناهم) . فلما نهوا عن أن يجعلوا مع ا إلها آخر خصص بالتحذير عبادة الملائكة لئلا يتوهموا أن عبادة الملائكة ليست كعبادة الأصنام لأن الملائكة بنات ا ليتوهموا أن ا يرضى بان يعبدوا أبناءه .

وقد جاء إبطال عبادة الملائكة بإبطال أصلها في معتقدهم وهو أنهم بنات ا فإذا تبين بطلان ذلك علموا أن جعلهم الملائكة آلهة يساوي جعلهم الأصنام آلهة .

فجملة (أفأصفاكم ربكم بالبنين) إلى آخرها متفرعة على جملة (ولا تجعل مع ا إلها آخر) تفريعا على النهي كما بيناه باعتبار أن المنهي عنه مشتمل عمومه على هذا النوع الخاص الجدير بتخصيصه بالإنكار وهو شبيه ببدل البعض . فالفاء للتفريع وحقها أن تقع في أول جملتها ولكن أخرها أن للاستفهام الصدر في أسلوب الكلام العربي وهذا هو الوجه الحسن في موقع حروف العطف مع همزة الاستفهام .

وبعض الأيمة يجعل الاستفهام في مثل هذا استفهاما على المعطوف والعاطف والاستفهام إنكار وتهكم .

والإصفاء : جعل الشيء صفوا أي خالصا . وتعدية أصفى إلى ضمير المخاطبين على طريقة الحذف والإيصال . وأصله : أفأصفى لكم . وقوله (بالبنين) الباء فيه إما مزيدة لتوكيد لصوق فعل (أصفى) بمفعوله . وأصله : أفأصفى لكم ربكم البنين كقوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم) ؛ أو ضمن أصفى معنى آثر فتكون الباء للتعدية دالة على معنى الاختصاص بمجرورها . فصار (أصفى) مع متعلقة بمنزلة فعلين أي قصر البنين عليكم دونه أي جعل لكم البنين خالصة لا يساويكم هو بأمثالهم . وجعل لنفسه الإناث التي تكرهونها . وفساد ذلك ظاهر بأدنى نظر فإذا تبين فساده على هذا الوضع فقد تبين انتفاء وقوعه إذ هو غير لائق بجلال ا تعالى .

وقد تقدم هذا عند قوله تعالى (ويجعلون البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) في سورة النحل وقوله (إن يدعون من دونه إلا إناثا) في سورة النساء .

وجملة (إنكم لتقولون قولا عظيما) تقرير لمعنى الإنكار وبيان له أي تقولون : اتخذ ا

الملائكة بنات . وأكد فعل (تقولون) بمصدره تأكيدا لمعنى الإنكار . وجعله مجرد قول لأنه لا يعدو أن يكون كلاما صدر عن غير روية لأنه لو تأمله قائله أدنى تأمل لوجده غير داخل تحت قضايا المقبول عقلا .

والعظيم : القوي . والمراد هنا أنه عظيم في الفساد والبطلان بقرينة سياق الإنكار . ولا أبلغ في تقبيح قولهم من وصفه بالعظيم لأنه قول مدخول من جوانبه لاقتضائه إيثار ا بأدون صنفي البنوة مع تخويلهم الصنف الأشرف . ثم ما يقتضيه ذلك من نسبته خصائص الأجسام تعالى من تركيب وتولد واحتياج إلى الأبناء للإعانة وليخلفوا الأصل بعد زواله فأي فساد أعظم من هذا .

وفي قوله (اتخذ) إيماء إلى فساد آخر وهو أنهم يقولون (اتخذ ا ولدا) . والاتخاذ يقتضي أنه خلقه ليتخذه وذلك ينافي التولد فكيف يلتئم ذلك مع قولهم : الملائكة بنات ا من سروات الجن وكيف يخلق الشيء ثم يكون ابنا له فذلك في البطلان ضغث على إبالة .

(ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا [41]) لما ذكر فظاعة قولهم بان الملائكة بنات ا أعقب ذلك بان في القرآن هديا كافيا ولكنهم يزدادون نفورا من تدبره .

فجملة (ولقد صرفنا في هذا القرآن) معترضة مقترنة بواو الاعتراض .

والضمير عائد إلى الذين عبدوا الملائكة وزعموهم بنات ا .

والتصريف : أصله تعدد الصرف وهو النقل من جهة إلى أخرى . ومنه تصريف الرياح وهو هنا كناية عن التبيين بمختلف البيان ومتنوعه . وتقدم في قوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون) في سورة الأنعام .

A E